

عمل السماء لتنفيذ ما هو مكتوب" و: "بانك سوف تدرسين هذا ليلاً ونهاراً". بسبب الخطايا الكثيرة، لم يُرزق بأولاد بل رُزق البنات فقط" (السطران ٦٥ و٦٦ من الرسالة). هذا علاوة على تصريحها بأن والدها أصرّ لدى تزويجها على إستمرارها في دراستها للتوراة: "كما جعل زوجي يقسم أمامه بأن لا يكلفني بأي عمل، فوافقه زوجي على ما أراد" (السطران ٦٧ و٦٨).

وهكذا يتبين أن مسؤولية المدرسة بالكامل كانت ملقاة على عاتقها: "كان الحبر، بوركت ذكراه، منشغلاً من البداية بدراساته ولم يكن لديه وقت لتعليم التلاميذ، فكنت أقوم بالمهمة نيابة عنه، وكنت له في ذلك عوناً كبيراً. والآن ولكثرة ذنوبي، تركني زوجي ليخلد الى الراحة (الأبدية)" (السطران ٦٨-٦٩). وتناشد هذه الأرملة المحفل اليهودي شد أزرها وإجابة طلبها حين تقول في رسالتها: "من أجل الوالد، بوركت ذكراه، والحبر بوركت ذكراه، وحتى لاتذهب أعمالهم مع التوراة وذكراهم سدى في هذه المحافل، ولأنني ساظل معلمة توراة والمرأة التي تويح وتطالب مئيلاتها من النساء (بالإلتزام) بالغطس والسبت والتطهر عقب الحيض وبالصلاة وما الى ذلك" (السطران ٥٨ و٥٩). وهكذا تؤكد هذه المرأة على نشاطها في مجال نشر تعاليم التوراة بين النساء، اللاتي تعظهن بالإلتزام بالتعاليم المتعلقة بالنسبة وقوانين السبت.

هناك إرث حي يتعلق بهاته النسوة المتعلمات بين اليهود الكُرد، وهي حقيقة تبين مدى ندرة هذه الظاهرة، أي النساء المتعلمات. إذ يقال بأن زوجة الحبر سيمون كانت في القرن السادس عشر معلمة تلاميذ في العمادية. وفي أواخر القرن الثامن عشر، كانت زوجة الحبر أشر معلمة تلاميذ في العمادية أيضاً. وفي حوالي ١٨٤٠م كانت شقيقة الحبر إلياهو مساعدة له في تعليم التلاميذ (حسب شبنائي برّشه) ومن بين قلة من اليهوديات الكُرديات في القدس من اللواتي يعرفن القراءة والكتابة يبرز إسم إبنة حاخام نيروه، التي كانت لثقافتها واعطة لكل نساء المنطقة. وفي الوقت الذي عاش فيه محدثي في العمادية لم يكن يوجد فيها سوى إمرأتين تعرفان القراءة والكتابة، ووجود نساء من هذا الصنف في زاخو أمر مشكوك فيه حتماً^(٥).

أما كلام النساء، فمعظمهن يتحدثن لغة التارگوم، والنساء في بعض المناطق (كالعمادية مثلاً) يتكلمن الكُردية بطلاقة. أما النساء اليهوديات في زاخو فإن معرفتهن بالكُردية قليلة بسبب من قلة فرص إختلاطهن بالكُرد. هذا ورغم كون

٥- قبل وقت قصير كانت هناك فتاة في بيجار تساعد والدها في تعليم التلاميذ. وبعد وفاة والدها قرأت له للقاديش في الكُتبس.

الأغاني التي تغنيها النسوة في حفلات الأعراس كُردية صرفة، إلا أنّهن لايفقهن منها إلا القليل. هذا ولم أجد أي دليل على وجود لغة سرية بين النسوة اليهوديات الكُرديات (كتلك التي تجدها عند النساء في الشرق الأدنى). أما ما يتعلق بالعبرية فمعظم النسوة لايعرفن منها إلا تلاوة بعض التبريكات الى جانب صلاة الشيماع^(٦)، وهنّ الى جانب ذلك ملتزمات جداً بأداء الواجبات الدينية.

تعدد الزوجات

يُسمح بتعدد الزوجات بين اليهود الكُرد لكنه لايمارس إلا نادراً. ففي العمادية كان هناك في ١٩٣٠ حوالي عشرة رجال لهم زوجتان، وفي أشنويه كان هناك سبعة. وفي سنه تبلغ نسبة الرجال ممن لهم زوجتان ١٪. هذا فيما يندر وجود من لهم ثلاث زوجات^(٧). ففي سنه على سبيل المثال، في وقت إعداد بحثي هذا [أواخر ١٩٣٠] ما عرف محدثي بوجود ولو حالة واحدة من هذا القبيل^(٨).

أحد أسباب زواج الرجال من امرأة ثانية هو عدم تمكن الزوجة الأولى من إنجاب ابن يرث الأب. فالعوامل الإقتصادية في الريف أكثر منها في المدن - تلعب دوراً كبيراً في تعدد الزوجات. لقد إتخذ يهودي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ويعيش في أشنويه الريفية فتاة تبلغ العشرين من العمر زوجة ثانية له - والسبب الوحيد الذي برر لي ذلك به قوله أن العمل في بيته قد زاد الى درجة لايمكن معه لزوجة واحدة أن تقوم به. فقد كان يملك أربع أبقار، وكان واجب العناية بهذه الأبقار يقع على عاتق

٦- قيل بأن أفراد عائلات الحاخامات لم يكونوا يتحدثون بغير العبرية في السابق، وهذا يوضح سبب تعلم نساء هذه العائلات هذه اللغة (في العمادية).

٧- يوجد في القدس يهوديان كُرديان لكل منهما ثلاث زوجات، أحدهما: ه. ز من نيروه وله ثلاث زوجات وإثنتا عشرة بنتاً، ومات له عدد من الأطفال في كُردستان. والسبب الرئيس لزواجه من ثلاث زوجات هو أنه لم يرزق بإبن من زوجته الأولى، وقد رزق أخيراً بصبي من زوجته الثالثة.

٨- في سنه يستعان بالمتزوج من ثلاث، حيث يقصده المريض المحموم ويسأله: "ميردي سى ژنان چ خاسه بو درمان (بالكردية) "يا زوج الزوجات الثلاث ما هو الدواء الناجح للحمى؟". وعادة ما يصعب العثور على رجل متزوج بثلاث فيستعينون بمن له زوجتان ويقصده المريض بقوله: ميردي دوو ژنان "زوج الإثنتين". وفي العمادية تذهب زوجة المصاب بالحمى (بالكردية، شوتائي: حمى الليل) الى المتزوج من اثنتين أثناء تناوله الطعام وتقول له: "خوداني دوو ژنا كورين دوژمانا (قارنها مع - دوژمن - في قاموس ژابا، ص ١٨٣) درماني شوتايي چنه؟ (بالكردية) "يازوج الإثنتين (أعسى الله أعداءك) ما علاج الحمى؟" فيعطيها الرجل بعضاً مما بين يديه من طعامه ليتناوله زوجها المريض كدواء.

الزوجة الثانية لوحدها. والحالة الأخرى التي يكون فيها الدافع الإقتصادي الأساس هو زواج الرجل من أرملة ثرية وإتخاذها زوجة ثانية له. ومثل هذا الزواج، الذي يدخله الرجل لأسباب مالية بحتة، ليس شائعاً بين اليهود الكرد.

تكافح الزوجة الأولى بكل ما أوتيت من عزم وقوة لتحويل دون زواج زوجها من امرأة ثانية. لكنها تدرك رغم ذلك بأن عويلها ونحيبها سيذهبان دون جدوى^(٩). وحين يدخل زوجها زوجته الثانية الى الدار، فإن الأولى قد تلجأ الى السحر الذي تحدثنا عنه والمتعلق بإستقبال العروس في بيت العريس - فتصعد الى سطح الدار وتقدف الحصى على منافستها لدى دخولها وتضرب الأرض بقدمها. وهي تضمن بهذه الطريقة هيمنتها على الزوجة الثانية (في العمادية).

تختلف تقاليد الزواج التعددي، إختلافاً جوهرياً عن تقاليد الزواج الأول. وإذا ما كانت الزوجة الثانية فتاة عذراء، فإن الإستعدادات لإحتفال تستغرق ثلاثة أيام. وهذا ينطبق على الزوجة لوحدها. فالزوج مستثنى من الصيغ بالحناء ومراسيم الإستحمام. ولكن على الزوج أن يجلس مع زوجته الجديدة الثانية ثمانية أيام في الكونونه. [وفي حال كانت الزوجة الثانية أرملة أو مطلقة (تولاقتا) فتجري حينها مراسيم تناسب حالتها تلك (أنظر ص ٢٢١)].

معاملة النساء

تُعامل المرأة اليهودية الكُردية نفس المعاملة الشائعة التي تلقاها النساء بين الشرقيين، وخصوصاً المعاملة الشائعة عند الفلاحين الشرقيين. فالمرأة هنا خاضعة تماماً للرجل. وإستناداً لهذه الحقيقة فليس بإمكان المرء الحديث عن الحب أو المعاملة القاسية إلا نادراً. ومعظم النساء ينظرن الى أزواجهن منذ البداية كسيد ومولى. وحتى في المقاطعات التي بإمكان المرء أن يتحدث فيها عن معاملة النساء معاملة جيدة (العمادية مثلاً)، فإن العمل المنزلي كله يقع على عاتق المرأة، ليس هذا فحسب بل ينبغي أن تكون دائماً على أهبة الإستعداد لتلبية مطالب زوجها. والأهم من ذلك العائلة، وهنا تكون المعاملة أكثر تطرفاً. فالزوج نادراً ما يخطو خطوة في الدار أو يرفع أبداً إصبعاً في طلب. فهو يامر زوجته «هاتي لي الكتاب. هاتي لي

٩- في القدس حيث يمنع الرابي الزوج من إتخاذ زوجة ثانية إلا بعد موافقة الأولى وقعت هذه الحادثة: أراد أحد اليهود الكُرد الزواج بامرأة شابة، ولم يكن ذلك في مستطاعه لصعوبة إستحصل موافقة زوجته الأولى فأراد تطليقها، لكن الزوجة الأولى رفضت الطلاق وتمسكت حتى أنها عرضت عليه منحه كل مدخراتها المتواضعة من عملها في غسل الثياب.

غليونوي، الشاي» وما الى ذلك - فمن المعيب للرجل أن يفعل شيئاً من ذلك بنفسه. وهم يقولون عن الرجل الذي يامر زوجته على الدوام: *مانه إيلا باخته خابره خييه بريخيلو* "الذي تقف زوجته طوع أمره، سيطول عمره".

ومن ناحية أخرى فإنهم يقولون عن الزوج الذي لا يامر زوجته على الدوام: *مانه ليويه باخته خابره أمره*^(١٠) *كري لي أجاله*^(١١) *زليلو* "الذي لا تقف زوجته طوع أمره، حياته قصيرة، وأيامه معدودة".

والنسوة يتناولن الطعام لوحدهن بمعزل عن الرجال، وفي الغالب بعد تناول الرجال طعامهم^(١٢). وفي الأعياد فإن الصينية التي يقدم الطعام فيها للنساء تحتوي فتاة مائدة الرجال. وإذا ما ذهب الرجل وزوجته الى نفس المكان فإنهما لا يمشيان معاً، بل تتخلف الزوجة عن زوجها في المسير بضع خطوات.

ورغم أن معاملة الزوج زوجته تماثل معاملة الحاكم رعاياه، وليس هناك داع رغم كل شيء لمعاملتها بقسوة. فإن اليهود يميلون رغم ذلك للقسوة مع زوجاتهم وضربهن ضرباً مبرحاً تسقط الزوجة على أثره طريحة الفراش في أغلب الأحيان.

وخلال حفلات الأعراس والأعياد - حينما يلعب العرق والمزّه برؤوس الرجال يقع على الزوجة واجب إحضار صينية الطعام لزوجها. حيث تلقى الزوجة التي يحدث أن تتأخر في جلب ما يطلب الزوج الضرب من قبل زوجها أمام الحاضرين. ويريد الزوج من وراء ذلك عرض عضلاته أمام الرجال الآخرين.

العمل اليومي

يمكننا القول أن من الطبيعي أن يقع عبء العمل البيتي كله على عاتق الزوجة. فهي تستيقظ صباحاً قبل زوجها. وبينما تغتسل الزوجة ترد التبريكات اللازمة، التي تعرفها كل امرأة، ثم تتوجه الى الميزوزا على الباب وتتلو صلاة الشيماع، التي

١٠- الصحيح (عمر).

١١- قاموس ژابا، ص ٢، *أكل* [= *أجل*] "اللحظة الأخيرة، ساعة الموت. وبالعبية (الأجل)، وترجم بالقول "إنتهت أيامه". لذا يقال عن الرجل الذي يلقي حتفه إثر حادثة في الطريق: *أجلا زكوالي لاي زله*، "إنتهت أيامه ولهذا رحل".

١٢- وكذلك بين النساطرة والكُرد تتناول النسوة الطعام لوحدهن (في العمادية). أما بخصوص النساطرة فقد كتب رايت يقول: "النسوة لا يأكلن مع الرجال، بل تخصص لهن - بدلاً من تناول ما يتخلف من طعام الرجال - حصة من الطعام". وفي سنه يتناول الرجال والنساء الطعام معاً، لكن في حال عدم وجود ضيوف (النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٧٥).

تحفظ منها نساء العماديه حتى فقرة (أوَقْتُوخول مئودِخا) (١٣). بعدها تحضر لزوجها الماء كي يغتسل، وحينما يتلو الزوج تبريكاته تردد الزوجة لفضلة أمين. وحينما يكون الزوج في الكنيس لحضور المراسيم الصباحية، توعد الزوجة الفرن وتعد الفطور (كدييه: أنظر ص١٢٦). ثم يستيقظ الأطفال لتناول الفطور.

بعد ذهاب الأطفال الى المدرسة، تضع الأم التالما على ظهرها وتذهب لجلب الماء من النهر أو النبع. وفي العماديه تستأجر زوجات الأثرياء (سقايب) يحضر الماء بدلاً عنهن. أما النسوة الأقل حظاً فيذهبن الى النهر أو النبع في مجاميع مرتين كل يوم، في الصباح والمساء. أما في سنه فذهبن في المساء فقط. بعد ذلك ترتب الزوجة أمور المنزل وتباشر بإعداد وجبة الغداء (شاروسه: أنظر ص١٢٦). وحين تسمع صوت المؤذن (مَلا) يصدح في المنارة، تدرك بان النهار قد انتصف (بالگيت يوم) وأن الأطفال عائدون من المدرسة.

أما غسل الثياب فيتم في يوم محدد في كردستان، وهو الخميس عادة، وذلك لكي يجدوا ثياباً وأقمشة نظيفة يوم السبت. وتجتمع النسوة بغسيلهن عند النهر، حيث ينظفن الملابس بغسلها في مياه النهر والضرب عليها بلوح خشبي (خاتوره) (١٤). ولدى الإنتهاء من غسل الثياب، تبدأ النسوة في حمام السبت (كيايا). وتجلب النسوة لهذا الغرض الى ضفة النهر قدراً كبيراً لغلي الماء. وقد تذهب النسوة في العماديه شتاءً الى أحد الينابيع الحارة (إين خاتون. وبالكرديه: كانيي خاتوني) وتعني بالتحديد نبع السيدة. ويعتبر يوم الغسل على ضفة النهر عطلة للنسوة. إذ يشرعن بالغناء والرقص حتى وقت متأخر من المساء، ثم يعدن الى بيوتهن مجتمعات (في العماديه وفي زاخو).

وعند الظهيرة تجلس النسوة للعمل في بقعة ظليلة بالباحة (بريانكي)، ويعملن شتاء داخل الغرف. واليهودية الكرديه، مثل يهوديات الشرق عموماً، مكتفية بمنزلها. فلاتذهب الى السوق ونادراً ما تغادر الحي اليهودي، وتنحصر صلاتها الإجتماعية بأقاربها وجيرانها. وتشكل أوقات الظهيرة هذه، مع الأعياد، إطار حياتها الإجتماعية. في الصيف تجلس النساء في أشنويه في باحة الكنيس - وهي أقرب ما يكون الى الحديقة التي يمكن أن يتفاخر بها اليهود.

١٣- وتعرف نساء هذه الصلاة لغاية فقرة: عال ميزوزوت بتيخه أوفيشعاريا. وفي العماديه تضيف النسوة صلاة خاصة بهن بالتارگوم - "وفق مشيئتهن".

١٤- في سنه بالكرديه: كلاف كو.

الحرف اليدوية وأشغال الإبرة

تختلف اليهودية الكرديه عن مثيلتها اليمانية في أن أشغال إبرتها وعملها اليدوي لا تظهر قدراً كبيراً من البراعة - أو الأصح لم تعد تُظهر قدراً كبيراً من البراعة. إذ لانجد في تلك الأعمال ذلك الأسلوب الدقيق والذوق الفني المتوارث الذي طورته المرأة اليمانية في أعمال التطريز وصنع السلال.

أحد الأعمال الرئيسية التي تقوم بها المرأة الكرديه هو إعداد الصوف. فهي تمشط (١٥) وتغسل وتغزل الصوف. إذ ترى المرأة الكرديه، كلما سنحت لها الفرصة، واقفة أمام باب دارها ويدها مغزلة الصوف الصغيرة (تشييه) (١٦).

والنساء ينشغلن كذلك بحياكة الصوف، فالبسط البدائية (گیله وشيويسه) في العماديه هي من عمل النسوة. إلا أن هواية وعمل النسوة الرئيسي يتركز في خياطة الملابس وحياتها (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه). وتتألف خياطتهن الملابس من خياطة البياضات والملابس والتي غالباً ما تكون مطرزة (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه). والقسم الأعظم من زبائنهن هم المسلمون الكردي (١٧). والحياسة هي من الحرف اليدوية الدقيقة التي تظهر المرأة الكرديه فيها براعة فنية فائقة حتى اليوم. وكنا قد تحدثنا عن حياكة الجوارب، وأردية الساق والقفازات، التي يمتاز بعضها بجمال استثنائي، والتي تحاك من الصوف الأبيض أو أصواف ذات ألوان متعددة بتصاميم فنية (أنظر ص١٠٢).

إن تعلم هذه الحرف هو نوع التعليم الوحيد الذي تتلقاه البنات؛ وهن لايتلقين هذا التعليم عادة على يد أمهاتهن، بل على يد امرأة تشتهر ببراعتها في هذا المجال، والتي غالباً ما يكون لديها العديد من التلميذات اللواتي يتعلمن لديها في بيتها مجاناً. وعدا هذا النوع من التعليم تنشأ الفتيات جاهلات وأميات تماماً.

١٥- المشط الذي يستخدم في نقش الصوف (مسيركه) ويصنع من الحديد، أو من الخشب وتكون أسنانه من الحديد.

١٦- [كانت] توجد نماذج في (مجموعة براور في الجامعة العبرية) من العماديه، وفي سنه (تشييه) وريكان (٣٧:٥، ٣٨:٩٦ و٣٨:١٥١ على التوالي).

١٧- يصنع كثير من النسوة في سنه القبعات (عرقچين) من قطع القماش ويعشن على ما تدره هذه الحرفة، إذ يكسبن مبلغ (قرانين) في اليوم الواحد المبلغ الذي يكفي لتسديد نفقات العائلة كلها ليوم كامل.

قوانين الطهارة

في هذا المجال تشبه النسوة الرجال في الإلتزام الشديد بالشريعة. فهن أيضاً لهن معتقدات الفلاح الذي يكتفي بتنفيذ الطقوس على ظاهرها. فهن يتقيدن بالتعاليم الواجب على النسوة إتباعها بحذافيرها، ومن بين أهم هذه التعاليم تلك القوانين المتعلقة بالطهارة^(١٨). كنا قد تحدثنا عن بيوت العزل الخاصة في العماديه وفي منطقة نيروه، والتي تعتكف فيها النسوة خلال فترة النفاس أو خلال مرورها بفترة الطمث أو الأيام السبعة التي يكنّ فيه غير طاهرات (أنظر ص ١٨٦). وهو تقليد ألغي في عام ١٨٦٠م.

إن الزوجة لاتخبر الزوج حينما تكون غير طاهرة، بل يتبين ذلك من الملابس الخاصة التي ترتديها الزوجة في هذه الفترة^(١٩).

وحينما تكون الزوجة غير طاهرة لاينبغي لها أن تجلس على نفس البساط الذي يجلس عليه باقي أفراد العائلة. كما ينبغي عليها أن تأكل لوحدها، فليديها ملعقة خاصة وأطباق تُغسل جميعاً على حدة (في زاخو وسنه). وعليها أن لاتشارك في إعداد الطعام، ولايجوز لها أن تعطي الماء لزوجها^(٢٠). وهناك بين اليهود الكرد من هو متمزمت بحيث لاياخذ أي شيء بتاتاً من يد زوجته مباشرة خلال هذه الفترة. ويحكى عن الشماش يصحاق الذي عاش في ١٨٧٠ في العماديه بهذا الصدد أنه ولكي يحافظ على أداء المراسيم في الكنيس في حالة طهارة دائمة لم يتسلم طوال حياته شيئاً من يدي زوجته أو إبنته مباشرة.

تنطبق على الفتيات غير المتزوجات نفس القوانين السارية على المتزوجات. وليس ثم مراسيم خاصة بالحیضة الأولى. والحاخامات يعاملون البنات والنساء المتزوجات المعاملة نفسها؛ كما لاياخذ الوالد شيئاً من يدي ابنته مباشرة أثناء فترة حیضها (في العماديه، لا في سنه).

١٨- أنظر كذلك: زلمان روباوشوفك (أورميه) في صحيفة (دافار) اليومية الصادرة في تل أبيب، عدد ٦ أيلول ١٩٤٠.

١٩- وفي سنه ترتدي المرأة أردأ ثيابها، والتي تحفظها في صرة معمولة من قطع قماش كثيرة ذات ألوان فاقعة تسمى جهل تينته "أربعين رقعة".

٢٠- رغم أن الطبخ مسموح به في القانون اليهودي، ولكن العادة جرت أن تقوم نساء الجيبران والأقارب بالطبخ نيابة عنها، ولكن للزوجة عند الإضطراب أن تطبخ بنفسها (في العماديه وسنه). ولكنها يجب أن لاتتذوق الطعام أو تضيف اليه الملح أثناء إعداده بيدها (في العماديه).

وفي العماديه تحجم النسوة عن إرتداء الملابس البيض خلال فترة الحيض البالغة سبعة أيام. أما في سنه فلا يرتدينها مدة خمسة أيام أو سبعة. وبعد سبعة أيام أحر تذهب النسوة الى (ميققه) للإغتسال الشرعي.

الميققه

إن ميقة اليهود الكرد التي يسمونها (كاره) هي على العموم عملية الإستحمام في النهر (في زاخو والعماديه). ويقال بأن الميققه في العماديه (كاريت ألوجي "حمام الخوخ" [والتسمية تطلق لوجود أشجار الخوخ بالقرب من المبنى]) قديمة جداً. والبناء محاط بأسوار قديمة ترتفع لأعلى من أغصان الأشجار الموجودة قريباً، حتى لايمكن رؤية الميققه من الشارع، وقبل البدء بالإغتسال تقص النسوة أظفارهن ويشدبن جدائلهن ونساء زاخو كن يذهبن في السابق الى الميققه نهاراً أو في الليل. أما في العماديه فقد جرت العادة منذ القدم أن تذهب النسوة الى الميققه ليلاً. وسبب ذلك هو وجوب أن لاتلتقي المرأة اليهودية غير يهودي في طريق عودتها. أما الغطس في الماء شتاءً، وحينما يكون البرد شديداً جداً، فإنه مؤثر على الصحة لدرجة كبيرة؛ والنساء الثقيات بدرجة إستثنائية أظهرن ما يشبه المعجزة في البطولة إن صح التعبير لدى أدائهن هذا الواجب الديني رغم الثلج والصقيع، وطالما أن الواجب الديني يلزم اليهودي الكردي بأن يضاجع زوجته في الليلة التي تسبق السبت، فإن النسوة اللاتي يظهرن من حیضهن يوم الجمعة يذهبن الى الميققه في مساء ذلك اليوم. هذا ويروى أن زوجة الحاخام الحبر شمعون من العماديه قد فعلته ذات مرة. فقد ذهبت الى النهر في الليل، وكان الفصل شتاءً وكانت الريح الباردة تهب. وفي طريق عودتها قابلت رجلاً - فعاتت أدراجها مع المرأة التي كانت ترافقها، وغطست في ماء النهر مرة ثانية؛ ولكنها قابلت في طريق العودة رجلاً آخر. وظلت على هذا المنوال أربع عشرة مرة كلما عادت من استحمامها تقابل رجلاً في طريق عودتها الى البيت. بعدها بدأ جلدها يتقشر بسبب البرد، فما كان منها إلا أن غطت عينها بشال لها وتركت رفيقتها تقودها في طريق العودة الى بيتها (أخبرني بالحكاية س.ي).

هذا ويعتبر قيام الزوج بمعاشرة زوجته بعد اطهرها من الحيض مباشرة من الواجبات الدينية^(٢١). ولهذا ترى الرجال - الذين يكونون في الغالب بعيدين عن

٢١- إذا لم تكن الزوجة تتوقع عودة زوجها قريباً فإنها تؤخر التطهر حين عودته سيما وأنها تخشى أن تعلم الشياطين بظهرها (في سنه والعماديه).

ديارهم - يعجلون بالعودة الى البيت ليكونوا موجودين حال تظهر زوجاتهم من الحيض أي في ليلة اغتسالهن؛ ولكن إذا تأخرت عودتهم نوعاً ما، يتملك زوجاتهم الخوف من أن يعرف العفاريات بطهرهن ويناموا معهن. ولكي تحمي هاته الزوجات أنفسهن من هذه العفاريات، فإنهن يحتفظن بسرراويل أزواجهن تحت مخداتهن أثناء النوم (في زاخو وسنه)^(٢٢).

الزنا والطلاق

على الرغم من حديث اليهود المستمر عن عزلة نساءهم، اللاتي يجلسن لوحدهن في باحات دورهن، فإن ما ورد إليّ من حالات إساءة التصرف من قبل النساء يثير الدهشة. والسبب الرئيس الظاهري لبقاء حالات الخطيئة هذه حية وعالقة في ذاكرة اليهود هو أنها جميعاً إنتهت بتحول المرأة موضوع الحديث الى الإسلام.

والقصة التالية التي تدور أحداثها حول امرأة من بيتنوره، تعطينا رؤية جيدة لهذه الحالة. فقد رواها لي شبتاي يوسف، وهو أورشات جَميعه [زعيم الطائفة] في العمادية. عاشت في بيتنوره فتاة برّت كل قريناتها جمالاً في منطقة برويلنايا.

والد هذه الفتاة زوّجها لرجل، بينما هناك رجل آخر في برويلنايا يسعى للزواج منها. فلم تقاوم الفتاة الثاني ومكّنته من نفسها، فافتضح سرهما ووصل مسامع أهل العمادية. وبصفته زعيماً للطائفة بادر شبتاي يوسف الى إحضار الرجل أمامه، وطلب منه إبداء الندم على فعلته. لكن الرجل أنكر الأمر جملة وتفصيلاً. فجعلوه يقسم على إنكاره ففعل. وعندها أقاموا له *د/نن أكافا سودار*: إذ كان عليه أن يمسك بأحد طرفي *[السودار]* والحازان يمسك بالطرف الآخر، ثم يقسم باغلظ الأيمان أن يقع تحت طائلة كذا وكذا من العقوبات إن اقترب من تلك المرأة أو دخل في الشارع الذي فيه بيتها.

عاد الرجل الى بيتنوره، ولم تمض بضعة أشهر حتى وصلت الأنباء مسامع أهل العمادية عنه وعننا ثانية، فأمر شبتاي يوسف بمعاقبته بخمس عشرة جلدة؛ أي أن يتلقى خمس عشرة جلدة على ظهره وساقيه لخمسة عشر يوماً متتالية، وهكذا أصبح بعد مرور بضعة أيام على بدء العقوبة غير قادر على السير، وتوجب عليهم في النهاية حمله على بغل. بعد ذلك، وبعد فرض غرامة مالية ثقيلة وتحذيرات إضافية، أعيد الى بيتنوره، حيث ظل طريح الفراش عدة أسابيع حتى تعافى من

٢٢- يستخدمون في سنه قطع الثياب الأخرى العائدة للزوج لهذا الغرض (كالخزام مثلاً).

الجروح التي أصابته إثر ما تلقاه من عقاب.

وفي حوالي هذا الوقت تقريباً، جاء شاب - حائك من جالا- الى بيتنوره وكان ذا قوة عضلية جبارة تتيح له لئى قضيب حديدي بيديه المجردتين. وكان قد ترك جالا بسبب عراكه مع بعضهم. ذهب الشاب الى مير [سيد] برويلنايا وطلب منه الإذن في أن يستقر في بيتنوره، فسمح له المير بذلك. وبعد حين وقع هذا الشاب في حب هذه المرأة ذات الحكاية نفسها، وحاز حبها وضاجعها. وفي هذه الأثناء، تعافى حبيب المرأة الأول، وقد حرص هذا في البداية على تفادي الإقتراب من بيت المرأة، لكن سرعان ما عاد الشوق يدفعه حتى ذهب إليها وجدد وصاله بها.

بلغت أنباء الشاب القوي مير برويلنايا. فحذره هذا وأذره بالقتل إن لم يرتدع، ولما لم يرجع الشاب، أمر المير أتباعه بأن يحضروه. ولما أحضروه أذره المير مرة أخرى وقال له بالرغم من أنه كان راغباً في السماح له بالإستقرار في بيتنوره، إلا أنه لن يسمح بأي شكل بوقوع مثل هذه الأمور ضمن منطقتة. ثم أمر بعدها بضرب الشاب بوحشية (كما هي العادة لدى الميراث - ج مير) ثم جعل خدمه أخيراً يغطسون الشاب في المياه الثلجة. إلا أن الشاب، ونظراً لقوته البدنية تعافى سريعاً من آثار هذا التعذيب وما عتم أن استأنف علاقاته بعشيقته.

في إحدى الامسيات، وبينما كان العاشقان كلاهما مع تلك المرأة، عاد زوجها الذي كان في حراسة حقول الرز التي يملكها. فما كان من الشاب القوي إلا أن ألقى بنفسه عليه ولوى أطرافه حتى ظنوا بأنه مات، ثم فرّ الشاب. لكن الزوج لم يمت متأثراً بجراحه. وتعافى وفي أحد الأيام وبدون أن يعطي زوجته الكيت ورقة الطلاق غادر بيتنوره سراً. وذهب الى الموصل ومنها الى بغداد، وعبر مصر وصل الى القدس، حيث مازال يعيش الى اليوم. ولما أدركت المرأة أن زوجها هجرها دون أن يعطيها الكيت، توجهت الى العمادية لتسأل أن يحصلوا لها على الكيت كي تتزوج ثانية. فوافقوا على تعقب آثار زوجها لكنهم أذروها بالكف عن سوء السلوك وإلا فإنها ستلقى أشد العقاب.

ولكن المرأة لم تكف عن سوء سلوكها وظلت على علاقتها بحبيبها الأول - فما كان من مير برويلنايا إلا أن أمر بإعتقاله وإحضاره أمامه. فأمر بإدخال عمودين خشبيين طول كل منهما خمسة أمتار في فتحتي سرواله، وعمود آخر خلال فتحتي كمي قميصه، وصلبه هكذا على حائط وأمر بضربه ضرباً مبرحاً حتى سالت الدماء من كل مكان في جسمه. ثم أخذوا الرجل الذي كان شبيه ميت الى حظيرة الحيوانات

ووضعه هناك وأشعلوا روثاً تحته.

أما الشاب الذي كان قد فرّ، فإنه عقب سماعه بأن زوج عشيقته لم يموت، عاد ثانية سراً ليصل عشيقته. وكان مير برويلنايا قد ضاق ذرعاً بهذه المسألة، فاستدعى أقارب المرأة وأخبرهم بأنه يعطيهم مطلق الحرية ليفعلوا ما يرونه صواباً.

وبحلول المساء عندما علم أخوة المرأة بأن العشيق موجود مع أختهم توجهوا إلى بيتها واقتحموا غرفتها وقتلوا الرجل الذي وجدوه معها، لكن اتضح لهم بأنه لم يكن الشاب القوي بل عشيقاً آخر لشقيقتهم.

وتوجب على أشقاء المرأة الفرار. فتزوجت شقيقتهم أحد الكرد واعتنقت الإسلام. وسرعان ما توفي زوجها. فتزوجت من مسلم آخر وانتقلت معه للعيش في دهوك. وبعد بضع سنوات. حينما توفي زوجها الأخير أيضاً، أراد يهودي الزواج منها لكن المرأة لم ترغب في العودة إلى اليهودية مرة أخرى.

وبعد مرور عدة سنوات أراد أخوة المرأة العودة إلى بيتنوره ثانية. ولكن المطلوبين في ثارات الدم لا يستطيعون العودة إلا أن يطلب سكان المنطقة منهم ذلك. لذا قام الأخوة، متبعين التقاليد، بإضرام النار في زوايا أحد الحقول. وعندما لم يستدعهم أهالي بيتنوره رغم ذلك أضرموا النار في المعلق. عندها طلب أهالي بيتنوره عقد الصلح. فاستدعى مير برويلنايا أحد الأخوة الخمسة ووالد الرجل المقتول. وتمّ تحديد دية القتل بما يعادل (٢٥) جنيهاً استرلينياً من خزانة دار الصلاة وتعهد الأخوة بردّ المبلغ خلال بضع سنوات.

[من الصعب تحديد مدى صدق هذه الرواية وحقيقة ما حدث، وإلى أي مدى أضاف إليها الراوي من خياله. فإذا كانت صحيحة، فإننا نطلع من خلالها على تفاصيل مهمة بخصوص العلاقة بين الرجل والمرأة وبخصوص قوة العلاقات في المجتمع.

إلا أن أهم ملامح القصة هو عدم تعرض المرأة - المتهممة بتعدد العشاق والزنا المتكرر لأي عقاب. فالعشيق في جميع الحالات هو الذي يتحمل العقاب. وتتراوح العقوبة من التوبيخ إلى الضرب والتعذيب والغرامات وفي النهاية الموت.

والمثير في القصة كذلك قوة العلاقة بين أوركات جميعه، زعيم المجتمع اليهودي، والمير، الحاكم الكردي المسلم للمنطقة. فيإمكان الأول معاقبة المذنب بالجلد والغرامة، ولكن الأخير فقط بإمكانه تعريض المذنب للتعذيب الذي قد ينجم عنه الموت. ويظهر من القصة إضافة إلى ما سبق بأن أقرباء المرأة (إخوتها) يسمح لهم باتخاذ إجراء

ضد عشيقها فقط في حال سماح المير بذلك. وحتى الزوج يبدو في القصة مصمماً على الانتقام من العشيق. بينما لا أحد يمس المرأة بسوء، بل أنّ بإمكانها الذهاب إلى أحبار العمادية تطلب منهم العون كي يطلقوها من زوجها، ويوافق هؤلاء على طلبها.

لاشك أن بطلة هذه القصة كانت ذات جمال أخاذ، فعشاقها يخاطرون في سبيلها بالتعرض للتعذيب والتشويه وحتى الموت دون أن يصبروا على الابتعاد عنها. وبعد اعتناقها الإسلام تزوجها إثنان من المسلمين تبعاً. وبعد كل هذا - كل هذا الزنا والارتداد عن دينها - فما زال هناك يهودي يريد الزواج منها. ولايتضح لنا من القصة كيف يمكن لهذا الرجل اليهودي أن يتوقع منها العودة إلى الدين اليهودي، مع معرفته بأن الإرتداد عن الإسلام في الديار الإسلامية عقوبته الموت.

ومما يثير العجب أيضاً التفاصيل التي تنكشف لنا في الفقرة الأخيرة من القصة حول القواعد التي تتحكم بثارات الدم ودية القتل. على أي حال، تصور لنا القصة موقفاً لايتفق أبداً وهيمنة الرجل على المرأة التي أكد عليها براور مراراً[.

إن العقاب المعد للمرأة الزانية قاس. ففي زاخو أقامت زوجة أحد الأثرياء اليهود علاقة أثمّة مع ابن الأغا. وعلى الفور أصدر زعيم الطائفة كتاب طلاقها. وقصوا شعر المرأة الخاطئة^(٢٣)، وأركبوا حماراً بوضع مقلوب، وهي ممسكة بذيله على أنه لجام - ورافقها الأطفال وهي على هذه الشاكلة وكل منهم يضرب على مقلاة يحملها ويلوثونها بما يلقونه عليها من لبن. (في زاخو).

والمسلمون كذلك يعاقبون الزانيات والعواهر بهذه العقوبة. ففي سنه كانت هناك يهودية بديعه الجمال أصبحت عاهراً واعتنقت الإسلام. وحينما لم تعد الحكومة تستطيع التغاضي عن مسلكها الشائن، ألقت القبض عليها وقص شعر رأسها، ثم جعلوها ترتدي ثياب الرجال وأخرجوها من المدينة.

وتلاقي القوادات (قويده) نفس المصير. فقد عاشت في العمادية يهودية عجوز كانت تعمل قوادة. ولم ينجح اليهود في إقناعها بالكف عن هذا العمل فما كان منهم إلا أن اشتكوا لدى الحكومة. فأركبوا حماراً ووجهها إلى الخلف وأحضرها إلى موقع قرب سور المدينة حيث رجمت هناك. ولم تمت العجوز المذكورة ويقال بأنها كفت عن عملها ودخلت حياة جديدة.

في بعض الأحيان ينفذ الأزواج القانون بأنفسهم. فقد خرج أحد يهود ريكان مع

٢٣- العادة أصلاً مقتبسة عن الكُرد. وقصّ الجدائل كعقاب على الزنا كان يمارسه الألمان أيضاً (أنظر: تاسيتوس، جرمانيا، ١٩).

زوجته الخاطئة لحلب أغنامه، فما كان منه في الطريق إلا أن استلَّ خنجره (حَنَجَرَ) وطعنها به وقتلها، وبعد فترة قتل عشيقها.

تعتبر هيمنة الرجل على المرأة في كل علاقة له بها وفي كل المراحل سمة مميزة لليهود الكرد. ويصعب جداً على المرأة أن تحصل على الطلاق من زوجها. بينما هو في المقابل يمكنه وببساطة إقناع الحاخام بإصدار كتاب طلاقه من زوجته. إن المرأة عاجزة شرعاً عن التحرر من قيود الزواج. وهو موقف صعب جداً بالنظر الى حقيقة أن الآباء يزوجون بناتهم دون رغبتهم. وهناك في هذا الصدد حالة عن امرأة في العمادية اشتهرت بجمالها، تركت زوجها لأنها لم تعد تحتل العيش معه، وأخذت طفلها منه عائدة الى دار أبيها. وذهبت كل المساعي التي بُذلت لإقناع الزوج بتطليقها سدى. وقد استمرت تلك المحاولات خمس سنوات، حتى أن الحبر في آشور (الموصل) تدخل في النزاع - وكل ذلك دون جدوى. ولكن تمت تسوية القضية أخيراً عبر توسط مبعوث حبري من فلسطين. إذ تعين على والد المرأة دفع ما يعادل (٤٠) جنيهاً استرلينياً ليضمن الحصول على الكيت لإبنته^(٢٤).

أما الحال بالنسبة للزوج فمختلف. فإذا كان قادراً على الوفاء بالتزاماته التي يفرضها عليه الديكيتوب، فإن بإمكانه التخلص من زوجته بسهولة. فالكيت الذي يصدره الحاخام يُسلم للزوجة حيث يمزق بالطريقة التقليدية الى أربع قطع. وبعد هذه المراسيم يذهب الطرفان، الزوج والزوجة كل على حدة، الى الميقفه. ولا يعود المشاركون في هذه المراسيم الى بيوتهم بطريق مباشرة بل عبر جبه (طريق ملتوية): وهم في هذه الحالة يسبرون في طريق مثل تحويلة مؤقتة عبر السوق (في العمادية). بعدها يقوم الزوج الذي يمنح الكيت (تولقه) والمرأة المطلقة (تولاقتا) بتوزيع الخبز بين جميع أفراد المحفل اليهودي. يبقى الأطفال بعد الطلاق مع والدهم. أما المرأة فتفارق أطفالها بسهولة كما يقال (في العمادية). وإذا كان للمطلقة طفل رضيع، فعليها رضاعته حتى عامه الثاني - وهي خدمة تتلقى عنها أجراً - بعدها يعاد هذا الطفل أيضاً لوالده. وبعد الطلاق تنقطع كافة الروابط بين الأطفال والأم المطلقة - كما قيل لي. وعادة ما تتزوج المرأة المطلقة (تولاقتا) ثانية^(٢٥)، رغم أن الرجال لا يكونون

٢٤- تُختتم المسألة برمتها بعد إنجاز بعض الصفقات التي تتخللها. لقد جذب جمال هذه المرأة الشابة أحد الأغنياء اليهود، فتزوجها فور بعد إنتهاء عدتها الشرعية البالغة واحداً وتسعين يوماً.

وقبلها كان والدها قد زوّجها لثري أعجب بها، فأصبحت زوجة هذا زوجة أب لزوجة أبيها.

٢٥- بقاء المرأة دون زواج ظاهرة معدومة تقريباً، إلا إذا كانت المرأة أرملة مسنة لها أولاد بالغون.

متلهفين للزواج من تولاقتا. وليست هناك أية طقوس عندما تتزوج المرأة المطلقة ثانية. إذ لا يعودون لها الحناء ولا يحمونها بالطريقة الإعتيادية بل يذهبون بها الى بيت زوجها دون أي إجلال يذكر. ويكون طبق طعام العروس بسيطاً، إذ يتألف من شوربا (عصيدة تخينة معدة من الرز). وإذا كان العريس أعزب (جنكه) فتجربى كل المراسيم التقليدية لرفاهه، وعليه أن يظل في الكونيه ثمانية أيام، بينما يمكن لزوجته المطلقة أن تغادرها بعد ثلاثة أيام^(٢٦).

تزويع الأرملة من أقرباء الزوج (*)

لازال هذا الزواج (بالعبرية: بيوم) يُمارس من قبل اليهود الكرد، رغم أن ممارسته ليست شائعة بقدر التسريح أو الإعفاء من هذا الإلتزام من خلال (حاليصه)^(٢٧). ففي الرسالة الثانية من سوخو والتي سبقت الإشارة إليها (مان، نصوص ودراسات، الرسالة رقم ١٩: أنظر الص ١٢٢-١٢٣) يسعى كاتبها لإعلان بطلان الزواج على أساس كون زوج الأرملة المتوفى قاصراً لعدم إنتظار بلوغ الشقيق الوحيد المتبقي للزوج والبالغ سنة أعوام^(٢٨) الثالثة عشرة، أو أن يتم تزويج الأرملة من أقرباء الزوج أو بالحاليصه.

وفي سنه تجري مراسيم الحاليصه، وذلك بسحب الحذاء [وهي مراسيم تهدف لإعفاء الأرملة وشقيق زوجها المتوفى من واجب زواجهما] خارج المدينة في مكان يدعى قُعد وكانت الحاليصه تقام في العمادية فيما مضى في كهف معين خارج المدينة، لكن الناس قاموا قبل مائة عام ببناء دار بالقرب من الكنيس خاصة لهذا الغرض وحذاء الحاليصه القديم جداً (بيلافتيت خاليصه) محفوظ في تلك الدار.

٢٦- عند البركات السبع للـ(تولاقتا) فإن على الشخص الذي يعاني من السعال شويبا أن يشرب بعض الماء من مغرفة (تريتا) وحينها سيشفى من سعاله (في العمادية).

* *Levirate Marriage* تزويج الأرملة من أقرباء الزوج: عادة شائعة في العديد من المجتمعات الأبوية والعديد من المجتمعات السامية ومن بينها المجتمعات اليهودية القديمة، وتمثل في إجبار شقيق الزوج أو أقرب أقربائه من ناحية الأب على الزواج من أرملة المتوفى. وذلك لكي ينجب منها أطفالاً يعدون شرعاً من ذرية المتوفى. الكتاب المقدس، سفر التثنية (٥: ١٠-١٠) - المترجم.

٢٧- أساف، لبي - تولدوت، ص ٩٢-٩٣ فيه رأي أحدث: "هناك البعض ممن يقر بوجود اللجوء الى تنفيذ وصية زواج الأرملة بشقيق زوجها المتوفى - حتى إن كان هذا متزوجاً وله أطفال - قبل اللجوء الى الحاليصه". وذكر مصدر معلوماتي من سنه أن عدد حالات الحاليصه يفوق بكثير عدد حالات البيوم.

٢٨- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٤٣ (فول، ٢، ريكتو) السطر الرابع.

الوفاة والدفن(*)

في الوقت الذي نلاحظ فيه نفوذ البيئة غير اليهودية في المراسيم المتعلقة بالمناسبات الإنسانية من قبيل (الولادة والزواج)، فإن المراسيم المتعلقة بالموت تختلف في هذا. فاليهود الشرقيون - ومنهم يهود كردستان - لم يقتبسوا إلا نادراً من مراسيم الموت للشعوب المجاورة لهم، ولهذا بقيت تقاليد ومراسيم الوفاة لديهم يهودية خالصة.

فإذا كان أحد الرجال طريح الفراش وفي النزاع الأخير، فإن الجميع وبدون إستثناء يغادرون الغرفة التي يوجد فيها. إذ يقال إن المحتضر لن يسلم الروح إذا بكى أحدهم (في سنه). وهم يعتقدون أن طول فترة الإحتضار هي إشارة إلى أن الروح لا تريد فراق الجسد. ولهذا تجدهم يلجأون لإجراءات عديدة مختلفة لتسهيل خروج الروح وإراحة الرجل المحتضر. أول هذه الإجراءات وأكثرها فاعلية إجراء مراسيم هطّاره «الإطلاق». حيث يجتمع في غرفة المحتضر عشرة رجال بينهم عدد من الحاخامات يقيمون المريض ليقف على قدميه وهم يتلون الهطّاره. وما لم يكن مقدراً له الشفاء فإنه لن يعيش يوماً غير يومه ذاك (في العماديه).

وفي هذه الحالة كذلك يغلقون الكُنيس ويضعون مفتاحه تحت رأس المحتضر. وعندها ستبذل الروح جهداً كبيراً للخروج من الجسد، وذلك لأن المحفل يكون في انتظار ذلك المفتاح (في سنه وأشنويه)؛ أو يعطون المحتضر ماء قريعات شيماع^١ ليشربه (قدح من الماء يقرأ عليه الحاخام الشيماع. في سنه).

وحين تخمد أنفاس المحتضر، يمددونه على وجهه على الأرض المجردة في نفس البقعة التي مات فيها، وذلك لكي تشبع نفس الميت من رائحة الأرض؛ وإلا سيتلّون جلده باللون الأسود. ويضعون على جسده قطعة من الحديد وتوقد الشموع حوله، عند رأسه وقدميه وعلى جانبيه (في العماديه). ويمدّد الميت في وسط الغرفة (في

* (يحتوي الفصل العديد من التفاصيل المثيرة التي تظهر الهوية الأصلية للعادات التي تمارس في حالات ولادة الأطفال والزواج والوفاة. ولكن رغم الدراسات العديدة المكرسة لهذه الظاهرة، فإن الحاجة لازالت ماسة لإجراء تحقيقات إضافية وخاصة من الناحية السايكولوجية. ولغرض مقارنتها بالعادات اليهودية الأخرى، قارن ذلك مع: رافائيل باتاي، العادات التاريخية وتقاليد الحداد عند يهود مشهد (باللغة العبرية) (القدس ١٩٤٥).

أما في سنه فيذهب *الديانيم* والشماس والشهود -الذين يشكلون مجتمعين مينيان- مع *ياقام* [الأخ الذي يتزوج أرملته أخيه بهذه الطريقة] و*ياقامه* [أرملة المتوفى] إلى المكان المعين قبل يوم من إجراء المراسيم، وهناك يجلسون بنفس الترتيب والنظام الذي سيجلسون بموجبه في اليوم التالي عند إجراء المراسيم. ويقول الحاخام: «لقد جئنا إلى هنا اليوم لترتيب المكان للحاليصه بين فلان وفلانة». ويصوم هذان اليوم التالي. وفي الصباح يصل أعضاء فرقة *الحاليصه* مبكرين إلى القعد، معهم الطعام والبسط. وعلى أثر محاولة نهائية لتحقيق *اليوم* (زواج الأرملة من أقارب الزوج- المترجم) [وهو ما يعتبر من الأمور الضرورية] تجرى مراسيم سحب الحذاء التقليدية. إذ تضع المرأة غطاء رأسها على كتفها وتضع قطعة قماش صغيرة على رأسها حالما تصل المكان. وعليها أن لاتبصق في هذا الوقت. ويدير الحاخام المرأة مسبقاً تدريباً جيداً على مراسيم سحب الحذاء، وعلى البصق، وعلى الجملة التي يتوجب عليها ترديدها. ويحصل الشهود على مبلغ كبير من المال مكافأة على إشتراكهم في هذه المراسيم (في العماديه)، إذ تعتبر مراسيم *الحاليصه* خطيرة على جميع المشاركين؛ وهو ما يؤدي بالتالي لعزوف الجميع عن الإشتراك فيها. كما يحصل الحاخام والنسّاح الذي يكتب وثيقة *الحاليصه* على مكافآت مجزية. ويصل مبلغ هذه المكافأة في سنه إلى عشرة أضعاف الأجر الذي يتلقاه الحاخام من إصداره وثيقة كيت.

في سنه يذبّون ديكاً ودجاجة بعد *الحاليصه* على أنهما كپّاره. وفي العماديه لايعود المشاركون فيها إلى بيوتهم بطريق مباشرة بل يسلكون طريق كپّه، كما في الكيت.

وعلى الرجل والمرأة بعد إنتهاء *الحاليصه* الذهاب إلى الميقفه. وبعدها يتوجه كل منهما إلى السوق لشراء الخبز لتوزيعه على الفقراء وتلاميذ المدارس. وكان توزيع الخبز في الماضي يحدث قبل إجراء مراسيم *الحاليصه* (في العماديه).

زاخو) ورجله ناحية الغرب [أي متجهة ناحية القدس]، في زاخو والعمادية).

كل الموجودين في الغرفة يشقون ثيابهم. وكانوا في السابق يشقون الثياب الداخلية أيضاً، ويريق جيران المتوفى، خصوصاً في البيوت التي يمكن سماع نحيب ذوي الميت فيها، كل ما لديهم من مياه الشرب. والتفسير الإعتيادي الوحيد لهذه العادة وفي هذه الحالة، هو أن ملك الموت يغسل سكينه الملطخ بدم المتوفى في تلك المياه. ولهذا يقوم جيران المحتضر بنقل مؤونتهم من مياه الشرب مسبقاً الى بيوت بعيدة عن دار المحتضر (في دهوك والعمادية وسنه).

وتسود هيبة الموت المجتمع اليهودي. ففي العمادية كان أحد الرجال يجوب الشوارع وقد شدَّ على أحد ذراعيه عصا سوداء مطرزة بكلمة "أقليوث" "حِداد"، حاملاً بيده اليسرى راية سوداء، سنجاق تَيْقِيل، كتب عليها "راية الحِداد؛ فهذا (مصير) كل رجل" (أنظر سفر تثنية الإشتراع ٧:٢)^(١). وإذا كان المتوفى حاخاماً أو رجلاً ذا مكانة، يصدر الأمر بتوقف المجتمع اليهودي برمته عن العمل؛ أما إذا كان المتوفى شخصاً عادياً فإن الأعمال لا تتوقف إلا لفترة قصيرة قبل الجنازة.

جمعية الدفن؛ الحَقْرِيَّه

بعد الوفاة يتم إعلام رئيس جمعية الدفن حِقْرَه قَدِيْشَه على الفور. وتمتلك مدينة العمادية جمعية مؤهلة على نحو خاص وبالغة القدم من الدقّانين تضم ٢٢-٢٤ عضواً^(٢)، يوجد بينهم دائماً حاخام، وكاباي، وكقيريم.

يختار أعضاء الجمعية رئيسهم شيخ حَقْرِيَّه الذي يعين نائباً له بار شيخ، وشماشاً. ويحتفظ هؤلاء بمناصبهم عدة سنوات، ولكن يمكن تغيير زعيم الجمعية إذا قصر في واجباته.

بعد انتخابه، يتلقى الشيخ هدية من الحاقيريم وهي عبارة عن قطعة ملابس (كان تكون عبايكه [أو شالا تورما "شال من تورما"]؛ ويرد هو على الهدية بدعوتهم الى مأدبة في داره.

من واجبات الحَقْرِيَّه الأساسية العناية بالمرضى، وتولي مسؤولية دفن الميت، وتهيئة كافة مستلزمات وترتيبات الجنازة؛ إلا أن هذه الجمعية قد تطورت في

١- النماذج [كانت] ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية (٣٨:٣٩ - ٣٩) وجدت في العمادية فقط، وكان ذوو الميت يشدون مثل هذه العصا خلال أسبوع الحداد.

٢- في الواقع يجب أن يكون ثمانية عشر.

العمادية لتصبح في الحقيقة نادياً للرجال يشمل على كافة النشاطات التي تقوم بها الأندية، كما أصبح النادي يمتلك نوعاً من النفوذ على المجتمع اليهودي فيها.

وللحَقْرِيَّه ما يرقى الى «نزل للرجال»، يتألف من غرفة في بي حازان، في البيت المشيد بجوار قبري الحازان ديفيد والحازان يوسف بالقرب من كنيس سيّد يحزقيال (أنظر ص ٢٩٧).

في هذه الغرفة يلتقي الحاقيريم ثلاث مرات في الأسبوع لحفلات الشرب: في أمسيات الأحد، وأمسيات الأربعاء، وفي أيام السبت بعد الإنتهاء من المراسيم الصباحية مباشرة. وفي هذه الحفلات يشربون العرق، فيشرب كل حاقير ثلاثة كؤوس. ويحضر الحاقيريم المرّة معهم. وبعد تناول طعام خفيف، يلقي الحاخام بناءً على دعوة من الشيخ بإلقاء موعظة (دريشه). ويتم شراء العرق من نقود المساهمات المختلفة التي تصل بانتظام الى خزينة الحَقْرِيَّه.

وتأتي تلك التبرعات من الرجال الذين يُدعون لقراءة التوراة - وعلى الحاقيريم والكقيريم الذين يحظون بهذا الشرف التبرع ودفع أجور خاصة - من الحاتان تورا والعريس والششبنيم وأقي هابن وما الى ذلك. وكل الرجال الذين يأتون من المقاطعات المختلفة الى العمادية للإشتراك في المراسيم أو الذين يحجون الى ضريحي الحازان ديفيد والحازان يوسف - وعددهم كبير بطبيعة الحال (أنظر ص ٦٨) - يساهمون في إغناء خزينة الحاقيريم.

وتجري زيادة موارد هذه الخزينة عن طريق جباية الغرامات، وخاصة التي تفرض على الحاقيريم أنفسهم لإرتكابهم المخالفات. إن صرامة الضوابط التي تحدد تصرفات وسلوك كل عضو تجاه زميله - خاصة خلال إجتماعاتهم - تؤدي بطبيعتها الى فرض العديد من الغرامات من هذا النوع. والى الشيخ تعود صلاحية تسوية كافة الخلافات التي تحدث بين الأعضاء، وتفرض بعد التسوية غرامة تكون عادة في شكل بضعة قناني (كاننيا) من العرق يتبرع بها طرفا النزاع. وعلى نحو مماثل، تستخدم الأموال من كافة مصادر دخل الحَقْرِيَّه الأخرى في شراء العرق للحاقيريم. باختصار، فإننا نرى هنا نوعاً من الفريبير (المشروب المجاني).

وبالإضافة الى بي حازان فللاحاقيريم مكان للإجتماع عند ضفة النهر أيضاً. وهناك عند روكة حَقْرِيَّه "مكان الحاقيريم" يوجد عدد من أشجار الجوز، ويتم أثناء حفلات الشرب شتاءً توزيع ثمار هذه الأشجار بشكل رسمي، حيث ينادي الشيخ كل عضو ويعطيه عشر جوزات. ويقومون بهذه السريته (النزهة) في أوقات الأعياد

وفي مناسبات رحيل أعضاء من المجتمع الى آشور (موصل) لأغراض التجارة (أنظر
الص ٢٥٢-٢٥٣).

الحاقيريم الأربعة والعشرون هم ستة عشر عضواً في الواقع (وعلى رأسهم
الشيخ، أربعة يغسلون الموتى، وأربعة من الأعيان (حازان، كابي وإثنان من
الكفيريم). والخدمة التي يقدمها هؤلاء لعائلات المرضى تتمثل في تخصيص رجلين
- يعينهما الشيخ - لمراقبة وضع المريض على مدار الساعة؛ لكن واجب الحاقيريم
الأساسي هو العناية بالموتى.

فحين يموت المريض، يكون الشيخ أول من يخطرونه، وهو بدوره يخطر البار شيخ
الذي يخطر بدوره الشماش، الذي يستدعي إثر ذلك كل الحاقيريم الى دار البار
شيخ. وبعد إجتماعهم يتوجهون جميعاً الى دار الشيخ، وهناك يتلقى كل حاقير
كاسين من العرق. ولا يخفى أن لشرب كاسي العرق هذين أهمية شعائرية. بعد انتهاء
الشماس من إحضار كافة الأدوات الضرورية، يتوجه حفارو القبور الأربعة عشر -
برفقة الشيخ - الى المقبرة لحفر القبر، فيما يتوجه غاسلو الميت الأربعة الى دار
المتوفى لغسله.

لن يجد المرء تحول حبيراً قاديشا الى نادٍ للرجال إلا في كردستان وفي العمادية
تحديداً. فحبيراً زاخو يقتصر إهتمامهم على الإعتناء بالموتى فحسب. وهناك شيخ
خياره "شيخ حفاري القبور" وشيخ حبيبه "شيخ غاسلي الأموات" ولكل واحد منهما
نائب (بالكرديّة: ريسيبي، وتجمع على: ريسيبيينا "ذو اللحية البيضاء" - وجيه)^(٣).

ولشيخ الغسالين أوانيه وأغراضه الخاصة التي يجلبها معه الى بيت المتوفى
والتي تتألف من اللوح (في زاخو: درگيت ميثه)^(٤) الذي يُغسل عليه الميت
والمستلزمات الضرورية لخياطة الكفن. وفي زاخو يحتفظون بتلك الأغراض في
الكُنيس، وفي العمادية يحتفظون بها في بيت ال ميصوه في بي حازان حيث يوجد
حذاء حاليصه وملكوت أيضاً. والوعاء الذي يحتفظون فيه أواني غسل الميت يسمى
جلليت ميثه (في العمادية) أو كيسيتيت ميثه.

عند نقل هذه الأغراض الى دار ما، يركض رجل في المقدمة وهو يصيح درگيت
ميته! فتسرع النسوة لدى سماع ذلك بإدخال أطفالهن الى البيوت والى حجرة

٣- في سنه ليس هناك حيقرا، بل هناك روحيص أو ميلاخينا (الذين يغسلون الميت) وقابير الذين
يحفرون القبر.

٤- في العمادية: دبيت ميثه، وفي سنه: تحته.

خلفية بعيدة أو الى سطح الدار، ولأبستثنى الرضع من ذلك حيث تُخرج الأم
رضيعها من المهد وتحمله الى غرفة خلفية. والشيء نفسه يجري للمرضى (في زاخو
والعمادية). ويجب حسب قولهم أن لا تقرب أواني غسل الميت من الأطفال أثناء حملها
ونقلها.

قماش الكفن (خليعتته)^(٥) مصنوع من القطن (كيتين) ويكون ذا عرض خاص ويتم
جلبه من الموصل. وفي زاخو يقوم كبير الغسالين بقص قماش الكفن بينما يقوم
مساعدوه بخياطته. وإعداد كفن المرأة يكون من مسؤولية النسوة اللاتي يغسلنها.
أما في العمادية فتقوم العجائز بخياطة كفن الرجال أيضاً.

وإذا خشى شخص أن لا يتوفر له كفن عند موته، فإنه يشتري قماش الكفن في
حياته. وعادة ما تشتري العجائز قماش كفنهن بأنفسهن قبل الموت، ويدعين الخياطة
وبعض صديقاتهن الى البيت حيث يقمن لهن مادة تسمى سعودت خيبيت
كوربخه. ويقدم قسم من هذا الطعام للأطفال كسيگولا "جالب للحظ" وكذلك
للحاقيريم (في العمادية)^(٦).

يتألف الكفن من قطع ملابس تشبه تماماً الملابس الإعتيادية لكن خياطتها تكون
أكثر بدائية، حيث يدخلون كل كف من كفي الميت فيما يشبه القفازات. وتتلقى جثة
الميت تأليت كاطان تفتقر الى صصبيوت "الأهداب".

تسعى الأمهات جاهدات للحصول على قطع الكتان المتخلفة عن كفن حاخام أو أي
رجل مسن مرموق. وقد ذكر لنا كيف أن الأمهات اللواتي فقدن عدة أطفال يسعين
للحصول على قطع الكفن المتخلفة هذه ليخيطن منها ثوباً يلبسنه طفلهن المتبقي
الذي يخشين أن يلاقي مصير من سبقه من أطفالهن (أنظر ص ٢٠٣). كما تقطع قطع
القماش هذه الى قطع صغيرة تعلق في رقاب الأطفال كتماثم. (في العمادية وسنه).

تجتمع النسوة حول الميت المسجى في الغرفة ويئحن عليه وهن يلطن خدودهن
ويخدشنها حول الميت ويطلبن بالطين رؤوسهن كما يلطنن وجوهن وأكتافهن بالطين
ويبتفن شعورهن^(٧)، وإذا كان المتوفى آخر طفل لأم تكلى فإنها تقص جدائلها.

٥- في العمادية: خليعتا؛ وفي زاخو: خليته. (ماكلين، القواعد، ص ١٠٠: خلعات، خلعات، خلعتا
"رداء الشرف، الهدية، الهبة"). في سنه وريكان وجالا (كوربخه) وكذلك في العمادية: خليعتا.
وهي كلمة تستعمل كتعبير ملطف). في سنه وبيجار: ملبوش أو لبوشه.

٦- في سنه يشتري المرء هذه المادة أثناء حياته.

٧- في سنه إعتادت النسوة اللاتي يتساقط شعرهن على لصق شعر مزيف على رؤوسهن بالشمع.
ولذلك يقمن - كعلامة على النواح والطم - بنتف هذه الشعور المزيفة ويضعنها على قبر ميتهن.

وهناك أيضاً نساء يحترفن النواح (في العماديه [بختيسه مع]مديد/نه) وهن خبيرات في النواح وترديد المراثيات الحزينة المؤثرة. ولاتتلقى هاته النائحات أجراً في العماديه وزاخو. أما في سنه، فإن ذوي المتوفى من اليهود والمسلمين يستأجرون النائحة ويشجعونها بالقول: «نوحى عليه نوحاً جيداً»^(٨). والمراثيات التي ترددها النائحة [مع]د/نه كردية مقتبسة من الكرد وهي في معظمها ترثي بطلاً أو حبيباً.

زواج الميت

يتخذ النواح على الميت شكلاً خاصاً إذا كان المتوفى شاباً أو أعزب أو فتاة غير متزوجة، إذ تجري حينها المراسيم تشبه الزواج، وتمثال التي تجريها رغم تنوعها شعوب عديدة وحافظت عليها حتى في أوروبا^(٩).

فبعد موته مباشرة تخضب جثة الشاب غير المتزوج بالحناء كما لو كان عريساً^(١٠). وأثناء تحضير الحناء وخلال صبغ الجثة بها، تغني النسوة نفس الأغنيات التي تردد في إحتفالات الزواج عدا أن تلك الأغنيات تقطع بين الحين والآخر بنوبات البكاء.

وإذا كان الشاب خاطباً قبل موته (بالعبرية: ميقود/ش) فإنهم يجلبون العروس أحياناً الى الغرفة التي فيها جثمانه وهي بكامل زينتها، وتجرى كذلك مراسيم تبادل الخواتم، وتعلق فيه ملابس العريس الميت الإحتفالية فوق جثمانه.

أما إذا كانت المتوفاة عروساً، فيخضبون جسدها بالحناء ويلقون ملابس وزينة عرسها فوق جثمانها، وتغني النسوة أغاني العرس (دي حملولا، ناريكه). وفي زاخو لايحضر العريس الى غرفة الجثمان، رغم أن هذا كان يتم في العماديه فيما مضى، وتجرى في العماديه أيضاً نفس المراسيم التي وصفناها.

أما اليوم فلا يخضبون إلا خنصر العروس بالحناء، أما العريس المتوفى فيقيمون له نوعاً من حوٍه الموت من القماش الأسود. وتبقى حوٍه الموت هذه معلقة عدة سنوات بعد موته إحياءً لذكرى وفاته. ويعلق والدا العروس المتوفاة ثيابها وحليها فوق السرير الذي اعتادت أن تنام عليه.

٨- في الموصل كذلك يستأجرون النساء المسلمات كعدادات يتحن على الموتى.

٩- و. شرادز، تزويج الميت، (جينا، ١٩٠٤). و. لوفر "تتويج الميت" مجلة ZVV العدد ٢٦: ص ١٦ وما بعدها.

١٠- في أشنويه، يضعون الزهور على الجسد وبعض الورود على الوجه.

وفي سنه يحضرون ملابس وزينة العريس المتوفى أو العروس المتوفاة، دون صبغ جسد أي منهما بالحناء، وتطلق النسوة في بعض المرات الزغاريد بين نوبات البكاء. وفي اللحظة التي تدخل العروس لرؤية جثمان العريس المسجى يبلغ النواح نروته.

في الماضي كانوا يدفنون مع الميت إن كان شاباً خاطباً أو شابة مخطوبة كل ملابس وحليه (باستثناء أزياء الزفاف)؛ لكن هذا التقليد ألغي بسبب نوبة غضب (في العماديه). إذ توفيت عروس قبل ثلاثة أيام من زفافها فدفنت بكامل حليها وملابس زفافها؛ فنبش أحد الكرد المسلمين القبر وسرق الحلي. وحسب مصدري، مات هذا السارق بعد أيام قليلة من إرتكابه هذه الجريمة. ومنذ ذلك اليوم يدعو اليهود والمسلمون عائلته: عائلة سارق القبور (بي كاناوت ميته).

غسل الميت

في زاخو يقيمون مائدة جنازة (كوريبيله) قبل غسل جثة الميت^(١١). ويؤتى بمكونات هذه المائدة من دار أهل المتوفى. ولهذا يعد من الميصف إرسال مستلزمات مائدة الجنازة على الفور الى ذوي المتوفى إن كانوا فقراء لايملكون مؤونة في دارهم.

يشارك في هذه المائدة كل الذين يغسلون الميت وكل الحاضرين في دار المتوفى. ويُبعت بشيء من الطعام الى حفاري القبر (في زاخو). وفي العماديه تقدم (كوريبيلت ميته) للحافيريم فقط. ويسود الاعتقاد بأن الأكل من وجبة الجنازة مجلبة للحظ بالنسبة لرجل تقي أو طاعن في السن. وتأخذ الامهات من هذا الطعام الى بيوتهن لإطعام أطفالهن منه فيما يأتي ذوو المرضى يطلبون الحصول على شيء من طعام تلك المائدة لحمله الى مريضهم (في زاخو والعماديه). وفي العماديه يرسلون من طعام كوريبيله المعد لرجل مسن أو امرأة عجوز متوفاة الى الشباب والفتيات المرضى بعد أن تتلى على الطعام عبارة كو خول لي زادئيت أياً زوبهينيله كوريوخوخ "إنهض وكل، لاتخف، لقد إشتري هذا كفنك" (العماديه).

وكنوع من الميصفًا يحضر جميع أصدقاء وجيران المتوفى ماءً جيء به حديثاً من النبع الى دار المتوفى لغسل الجثة. وبعد تسخين الماء، يطلب كبير الغسّالين من النسوة المنتحبات المولولات حول الجثة المسجاة، الخروج من الغرفة لتُحمل الجثة الى باحة الدار لغسلها^(١٢). وترفض النسوة الخروج لعلمهن بأنه حال إخراج

١١- ولهذا فإن لعنتهن: ياربي كوريبيلوخ أخلانه "أطعنا الله وجية جنازتك" (في زاخو والعماديه).

١٢- لايجلس الرجال من أهل الميت قربه، بل يجلسون في غرفة أخرى. وفي كثير من الأحيان =

الجثمان لغسله فإنهنّ لن يرينه بعد ذلك أبداً. ولهذا يضطر كبير الغسالين في الأخير للذهاب بنفسه وإخراج النسوة قسراً.

يغلى ماء الغسل في باحة الدار. ويستخدم الشباب الرماد المتخلف عن النار كتمائم للحب. إذ يأخذ هؤلاء قطع الفحم الذي لايزال يتوهج ويقولون: كوداخ مودئيلي^(١٣) أيًا بالي هيداخ دبعخ لبيت تلويتي بيعيلي "قيما أطفئ هذه الجمرة، لينطفئ كذلك قلب محبوبتي (أي: لا يحب سواي) لكي تحبني". وإثر ذلك يفرك الشاب الجمرة لتنطفئ، ثم عليه أن يلقبها تحت أقدام حبيبته (في العمادية).

ترفع الجثة على خشبة الميت (في زاخو: دَرَكه، وفي العمادية: ديبه)^(١٤). في الماضي كان الرجال أو النساء يتحلقون حول جثة الرجل أو المرأة المتوفاة على التوالي، لحجب الجثة أثناء غسلها عن المجتمعين في الباحة؛ أما اليوم، فيرفع الرجال سناراً من قماش من أربع جهات على شكل غرفة حول الجثة. وفي سنه يستخدمون خيمة خاصة بهذا الغرض [وهذا يوافق تقاليد اليهود الفرس].

وينبغي أن يحمل غاسلو الميت شيئاً ما بأيديهم لدى دخولهم خيمة غسل الميت (بَرْدِييت مِيئَه)، لكي لايدخلوها "بأيد خاوية" كالميت المسجى فيها. ولغسل الميت يستخدمون أكياساً قماشية صغيرة من قطن الكفن محشوة بالصابون المجروش. وتسعى النسوة اللاتي مات لهنّ طفل للحصول على هذه الدليفه) من كبير الغسالين ليغسلن بها من تبقى من أطفالهن (في زاخو والعمادية وسنه). كما تستخدم الأمهات هذه الليف لغسل بناتهنّ في ليل بينيتا قبل البيوريم (في العمادية). وخلال غسل جثة شاب أو فتاة تغني النسوة الأغاني التي تُغنى أثناء إستحمام المخطوبين.

تعتمد نسبة الحضور في مراسم غسل الميت على المكانة الإجتماعية للمتوفى. وعند الغسل يُصبّ الماء البارد على الجثة بطريق طيقيل "التغطيس"، ويكسر الغسالون جرتين جديدتين على الدَرَكه. ويقولون أثناء قيامهم بذلك: جيمع ميفاحلوله "يا أبناء المجتمع سامحوه؛ فيجيب الحاضرون: فيحلّ حلال هيوه "سامحناه تماماً" (في زاخو).

وفي سنه يقف الحاخام خارج الخيمة ويقرأ أنا بنّخوح سبع مرات. ويكسر الغسالون مع كل قراءة ست جرار ليصبح مجموع ما يكسرون إثنين وأربعين جرّة.

= يصحبهم الناس الى الكئيس حيث يجب أن لايسمعوا نواح النسوة.

١٣- ماكلين، القواعد، ص ٦٨. وحسب ليدزبارسكي فإن (ديعي) تعني الإطفاء.

١٤- عن اللعنات التي تستخدمها النسوة، أنظر ما ورد منها في ص٢٠٦.

بعد الإنتهاء من غسل الميت يناولون الشيخ الكفن المهيأ والمعطر بالبخور [أو في العمادية: بخيره وهو غراء يُستخرج من البلوط] فيلبس الميت الكفن، ويوضع في يده "صك" كتيقا تملكه أربعة أذرع من الأرض في فلسطين (كتيقت أربا دريعه)^(١٥) (قورا). ويباع هذا "الصك" بثمن باهض^(١٦) من قبل مبعوث من فلسطين ويشتره كل يهودي تقريباً.

وتروى بهذا الخصوص قصص عجيبة عن حالات جرى فيها لسبب ما نسيان وضع الكتيقا في يد الرجل الميت. ففي چالا يقال أن ميتاً مد يده وبسط كفه طالباً وضع الكتيقا فيها. وبعد الإنتهاء من غسل ذلك الميت حاول الحاقيريم ثني ذراعه دون جدوى: فقد كانت ذراعه متصلبة كالحديد. ثم خطر لزوجة المتوفى أن زوجها يطلب الكتيقا. فأسرعت تحضرها له. وحالما وضعوها في يد الميت، أطبقت أصابعه على الكتيقا، وغدت الذراع لينة كالشمع وتمكنوا من وضع الجثة في وضعها المناسب دون عناء.

وفي أوقات الإضطهاد، يضعون مع الميت عريضة إسترحام ويصلّون طلباً لخلاص مجتمعهم من الإضطهاد. وفي بعض الأحيان يضعون حجرة في فم الميت لمنعه من إبتلاع قماش الكفن (في سنه). ويجمع الرجال ما يتخلف من شعر لحاهم أثناء حياتهم ويحفظونه في كيس يوضع في كفنهم بعد موتهم (في العمادية).

وإذا كان المتوفى ثاني المتوفين في العائلة خلال عام واحد، فإنهم يضعون بيضة في كيس صغير يدفنونه معه. وهذا تقليد شائع جداً (في زاخو ودهوك وسنه). وبعد غسله وتكفينه يربطون الجثمان بأربطة عديدة (في سنه: شال)^(١٧) أو يخيطنون ما يشبه الكيس ويضعون فيه الجثمان (في العمادية). ثم يعيدون الجثمان المكفّن الى الغرفة، حيث توضع شمعة موقدة عند الرأس وأخرى عند القدمين. ثم يشرعون بقراءة الزواهر لحين انطفاء الشمعتين. ويعتمد طول مدة الدفن على المدة التي يحتاجها حفارو القبر (حَبييره) لحفر قبر الميت.

١٥- ماكلين، القواعد، ص ٧٠: دريعه أو دريبه هي وحدة القياس الفارسية التي تقابل المتر وطولها حوالي (٣٩) سنتمراً.

١٦- السعر في دهبك دينار واحد أو ديناران، وفي العمادية أربع جنيهات استرلينية.

١٧- في أشنويه يلفون الرباط حول الجثة سبع لفات، ومع كلّ لفعة يضعون فيه حصاة وقطعة من النقود، ثم يلقون بهذه الأشياء جانباً أثناء الدَحَقُوت).

وچالا وما جاورهما فلا يضعون درجات على جانبي اللحد، بل توضع أحجار تعمل كركائز تستند عليها الألواح الخشبية. وبعد وضع الجثة في اللحد، تُغطى بصخرة بدلاً من الألواح.

النعوش الخشبية غير معروفة في كردستان، إذا يوضع الجثمان في تابوت^(٢٣) مؤلف من عارضتين خشبيتين متوازيتين مربوطتين الى بعضهما بحبال (في زاخو والعماديه وبينتوره). ويستخدم يهود سنه كتابوت صندوقاً خشبياً ذا أربعة مقابض.

موكب الجنائز

توضع أفضل ملابس المتوفى أو ملابس عرسه على التابوت - وينبغي أن تضم اللصيصيت إن كان المتوفى رجلاً مسناً، ووشاح الرأس إذا كانت المتوفاة فتاة شابة. أما في أشنويه فيحمل ملابس الميت أقرباؤه المنتحبون. وفي العماديه يغطون التابوت بقطعة قماش سوداء (چارشبه كاسويت ميته).

لا يتسم موكب الجنائز بالنظام. إذ يتقدم الكهنة التابوت بمسافة نحو خمسة عشر متراً، يأتي بعدهم المسنون والحاخامات. وبعد هؤلاء تأتي الجنائز يتبعها ذوو المتوفى، ويتبعهم الغسالون وبعدهم العامة (في العماديه). وميصفاً الإشتراك في حمل النعش يتناوب فيها الناس، حيث يقول كل واحد منهم عندما يحل محل آخر "ياذن الحبر شمعون بن يوحاي". وفي أشنويه يرافقون جثمان العريس أو العروس الى أطراف المدينة بموسيقى دولاً وزرناً. وإذا مر موكب الجنائز بدار فيها عروسان أو أم وضعت حديثاً، فإنه يجب أن يكون كل هؤلاء ومنهم المولود في غرفة خلفية أو على سطح الدار عند مرور الموكب (في زاخو والعماديه). ويصّب سكان كافة البيوت التي يمر الموكب من أمامها قليلاً من الماء في الشارع (في زاخو).

إذا كان الميت حاخاماً أو من الأعيان يحمل جثمانه أولاً الى باحة الكنيس، حيث يتلى عليه /دوده أو معدوده (في العماديه [موعظة الميت]). ويسمح في تلك الأثناء لنساء عائلة المتوفى وأولاده بالحضور هناك. لأنه بخلاف ذلك لايسمح للنسوة بمرافقة الجنائز إلا لغاية نهاية الشارع الذي فيه دار المتوفى، وللأبناء حتى بوابة المدينة. [عند بلوغ الموكب بوابة المدينة يتوقف الحاخام الذي يسير في مقدمة الموكب ويقول «إنه قرار رابينو كيرشون، وضياء الشتات أن ليت راشوت مين إنس جنس

٢٣- في زاخو: ميطا؛ وفي العماديه: شقليت ميته؛ (وإذا كانت الجثة محمولة عليها تسمى: ميطا)، وفي سنه (تاقوت: والكلمة كُردية) (واليهود كذلك يسمونها) "داربسته".

كما رأينا فإن حفاري القبر في العماديه يتوجهون فور سماع نبا الوفاة الى المقبرة يرافقهم شيخ حَقْرِييه الذي يختار مكاناً لحفر القبر، وبعدها يجتمع كل الحَقْرِييه في بقعة قريبة من موضع القبر ويجلسون للأكل والشرب، حيث يرسل الشيخ في كل مرة واحداً منهم للحفر^(١٨). وفي زاخو يقيسون الجثة، ليقوم بعدها كبير الحفارين بتحديد أبعاد القبر. لقد كان منصب أو مهنة حفار القبر وراثياً في زاخو لعدة أجيال. وللمدينة حالياً حوالي ثلاثين حفار قبور. حفار واحد يقوم بالحفر في كل مرة؛ لأن الإعتقاد السائد بأنه لو كان إثنان في القبر أثناء حفره فإن أحدهما سيموت. وكميصفاً يحاول كل حفار أن يعمل بكل طاقته حتى يغطي العرق جسمه. والحفار الذي يحل محل الحفار المتعب يجب أن لايتناول المجرفة من زميله مباشرة، إذ أن على الأخير أن يضعها على الأرض أولاً. وفي العماديه يقف شماش الكُنيس على سور المدينة في انتظار إشارة شماش حَقْرِييه إيداناً بانتهاء حفر القبر في المقبرة الواقعة عند وادي النهر أسفل المدينة. والإشارة تتمثل في قيام شماش حَقْرِييه بقذف معطفه في الهواء كعلامة على الانتهاء من الحفر. عندها يسرع شماش الكُنيس راکضاً عبر الشوارع وهو يصيح ميصفاً! وهذه هي إشارة التوقف عن الأعمال (في زاخو والعماديه).

شكل القبر موحد عند كافة اليهود الكرد^(١٩). إذ تحفر في البداية حفرة عمقها متر، وطولها وعرضها مطابقان لقياسات الميت؛ بعدها تحفر حفرة أخرى أضيق داخل هذه الحفرة بعمق نحو نصف متر، وعلى جانبي الحفرة درجات تسمى بري قوره (في العماديه: أخوة القبر)^(٢٠) ويشيع هذا الشكل من القبور بين المسلمين الكرد أيضاً^(٢١). وتوضع الجثة في الحفرة الأضيق وتوضع ألواح خشبية (في زاخو: فَرشَه)^(٢٢) معدة لهذا الغرض فوق الدرجات لتغطية الحفرة. أما في بينتوره

١٨- الأراضي المخصصة للمدافن لاتسد الحاجة، لذا فهناك من العجائز من تشتري لها من شيخ حَقْرِييه قبل موتها قطعة أرض تدفن فيها، وتكون عادة بجانب قبر ابن عزيز لها مات قبلها. وهن لايدفن ثمن الأرض نقداً بل يقدمن العرق ثمناً للقبر.

١٩- تسمى عموماً (قوره). وفي سنه (زيارته).

٢٠- في زاخو (برا قوره)، وفي سنه (ألحد) وفي أشنويه (ميانگور).

٢١- نيكتين، الحياة العائلية الكردية، المجلة الانثوغرافية للتقاليد الشعبية، العدد ٣ (١٩٢٢): ٣٤٢.

٢٢- هي في الحقيقة "صخور". وهذا يؤيد احتمال أن إستخدام الصخرة كان الشائع في الأصل. ويسمون هذه الصخرة في سنه (كيبا ألحد).

دبلو بيرييه مين ديبه ناشا ماها لي بييت نيلاً دير "لابسمح للرجال ولا للأرواح الشريرة التي ولدت من هذا الرجل [تحديداً، أن تؤذي]؛ إنها لن تعبر هذا المكان، بل ستعود أراجها". و"الأرواح الشريرة" المشار إليها هي - حسب المعتقدات السائدة بين يهود السفاردي والمجتمعات اليهودية الشرقية عموماً، وكذلك بين يهود الاشكنازي - التي ولدت من المنى المقذوف لا إرادياً خلال نوم الرجل، أي عند إحتلامه^(٢٤). وبعد سماع هذه الكلمات من الحاخام يعود أبناء المتوفى من عند أبواب المدينة الى ديارهم].

ويجب على النسوة أن لا يدخلن بيوتهن ثانية بعد الخروج في اتباع الجنازة دون إغتسال؛ ولهذا يصب الجيران الماء على أيديهن لدى عودتهن. ولا يجتزن عتبة باب الدار إلا بعد عودة الرجال من دفن الميت.

وفي المقبرة خارج المدينة يوضع النعش على بعد أربعة أذرع من القبر؛ ثم يُطاف بها الحَقْفوت [الطواف] سبباً، يتبع ذلك المراسيم المعتادة. بعدها ينزل كبير الحفارين ونائبه الى القبر وينزلون الجثة اليها كما هي ولا يضعون شيئاً آخر في القبر. يضعون الجثة على ظهرها والقدمين [ناحية الغرب] في إتجاه القدس. بعدها توضع الألواح الخشبية المهيأة (أو الأحجار كما في سنه وبيتنوره وجالا) على درجات اللحد بدءاً من ناحية الرأس. وخلال ذلك يردد الجميع هذا الشعر: قُئهو راحوم يئخاير عَقون قُئلو يئشحيط، قُئهيرباه لئهاشيف أُو، قُئلو ياعر كول حما تو ثلاث مرات ويلقي كل واحد منهم حفنة من التراب في القبر عند نطق كل كلمة فيلقون بذلك جميعاً تسعاً وثلاثين حفنة تراب في القبر.

ثم يتلو الحاخام الهشكاثا [«الاستلقاء للراحة»]، ويجتث كل واحد من ذوي الميت حزمة من الحشائش يقذف بها الى الخلف من فوق الكتفين. ويتلقون بعدها التعازي وفق التقاليد المعتادة. ويجب حمل النعش قبل أن يغادر أحد المقبرة. وهم لا يحملون التابوت الفارغ، بل يدحرجونه مرة وثانية وثالثة حتى يخرجوه من المقبرة، حيث يقومون بتفكيكه على الفور (في زاخو والعماديه).

ثياب الحداد

يعود ذوو الميت من الجنازة حفاة يرتدون ثياباً سود، ويجلسون على بسط مفروشة على الأرض. ويضعون في الغرفة مصباحاً يشتعل ليلاً ونهاراً والى جانبه

٢٤- [قارن: جي. ل. زلوتنيك، معاسه يروشالمي، القدس ١٩٤٦، الص ٣٢، ١٠٢.]

قدح ماء (في العماديه).

ليس هناك في كردستان سعودات هَقْرَع خاصة، لأن أول وجبة يتناولها ذوو الميت بعد الجنازة تعتبر سعودا هَقْرَع [«وجبة العافية»]. ويتوافد الزوار على ذوي المتوفى ليلاً ونهاراً، جالبين معهم طعامهم الذي يتناولونه مع العائلة التكلّى. والمزّه التي يجلبها المحزون لأبد أن تحتوي بعض البيض، وفي بعض المناطق القليل من العدس (في العماديه وسنه). وبعض الناس يتبعون عادة إحضار كأس من نبيذ تلا عليه الحاخام تبريكاته الى ذوي المتوفى (في سنه والعماديه).

وفي العماديه يعيّن شيخ حَقْرِييه من سيزور ذوي الميت في كل يوم من أيام الحداد السبعة. إذ يدعو شيخ حَقْرِييه الأثرياء خلال أمسيات الحداد إذا أمكن، طالما أن وجبة المساء يجب أن تشتمل على العرق الذي يحضره الأثرياء معهم إضافة الى الطعام [الذي يحضره] للعائلة المنكوبة.

شَحَاريت، ومنحه، ومعاريف هي الصلوات التي تتلى كل يوم في دار المتوفى. وفي اليوم الذي يقرأون فيه التوراة، يرافق الناس ذوي المتوفى الى الكنيس بعد صلاة شَحَاريت. ويتم تأخير القراءة في الكنيس لحين حضورهم، إذ يأتون حفاة ويحتلون أماكن غير أماكنهم المعتادة في الكنيس - وتكون عادة قرب الباب.

وتقدم لذوي الميت يوم السبت وجبة طعام دسمة مع العرق. أما إعداد طبق الميوسه في دار الميت فأمر يتولاه الأقارب (في زاخو).

وتخضع الدار التي زارها الموت، خلال أسبوع الحداد، لنفس الحظر الذي يفرض على الدار التي ولد فيها حديثاً طفل. إذ يحظر على الآخرين إقتباس نار أو خميرة من أهل هذه الدار (في زاخو والعماديه). وفي بيجار يحرم على ذوي المتوفى أن ياكلوا من الخبز الذي يعدونه بأنفسهم، بل يؤتى إليهم بالخبز من البيوت الأخرى. وعموماً ينبغي أن لا يتناول ذوو الميت خلال الأيام الثلاثة الأولى من الحداد طعاماً معداً في بيتهم. ولكن هذا لا يسري في مدينة سنه، ففيها قد ينحر أحد الأغنياء بالمناسبة شاة لإعداد وجبة سعودا هاقْرَع.

بإقتراب أسبوع الحداد من نهايته تأتي سعوديت^(٢٥) رَش تيمانيا [وجبة "بداية" اليوم الثامن]، وهي وجبة طعام يصرف عليها الأغنياء ببذخ. إذ يدعى اليها عدد كبير من رجال المحفل، وهم يقضون الليل في قراءة الزواهر وما شابه من الأسفار

٢٥- [يبدو أن تنوعات سعودات، سعوديت، سببها إختلاف نطق الكلمة وتنوعه لدى محدثي العديدين].

المقدسة. ولابن المتوفى عادة ثمانية شماسيم لتقديم: القهوة والفاكهة والساكنر. وبعد صلاة معاريف يتناولون العشاء لتتواصل بعدها القراءة حتى الصباح دون نوم. ويقدم أهل الدار لهؤلاء وجبة طعام أخرى في الصباح (في العمادية وزاخو).

عند انتهاء القسم الأول من المراسيم الصباحية، يخلع أفراد عائلة المتوفى الثياب السود البالية التي إرتدوها طوال أسبوع الحداد ليرتدوا بعدها وطوال العام الثياب السود الخاصة بعام الحداد. بل إن النسوة يرتدين ثياباً داخلية سود (في العمادية) وينبذن أيضاً كل حليهن ويكتفين بصفير شعورهن بصفيرتين أو ثلاث بدلاً من سبعة أو عشرة كما اعتدن قبل أن يخطف الموت عزيزاً لهن.

كما يحرم خلال عام الحداد تبييض جدران البيت، وتحجم العائلة أيضاً عن الإشتراك في احتفالات الأعياد والسيرانه. وهناك تقليد آخر شائع أيضاً يمارسه أفراد عائلة المتوفى يكمن في الامتناع عن تناول الحبوب والمكسرات، ظاهرياً لأنها تصدر ضجيجاً عند كسرهما والضجة محظورة في هذا الوقت (في العمادية). ولهذا ترى ذوي المتوفى يحرصون خلال هذا العام على التحدث برقة وتجنب المشاحنات فيما بينهم.

وفي زاخو يرسل ذوو الميت، طوال عام الحداد، حصته من الطعام في مواعيد الوجبات اليومية الثلاث (أشيبه كيد/يت ميثه) الى الحازان أو أحد الحاخامات. وحين تتلقى زوجة واحد من هؤلاء هذا الطعام، فإنها تقول: ماتيا گو نشيمه "عسى أن تبلغ روحه" (في زاخو والعمادية). [وفي العمادية يرسلون كل مساء طبقاً من الطعام الى الفقير طوال عام الحداد. ويقول من تلقى هذا الطعام: "ماتيا إننشيمه گو قصریت گان ئیدن" عسى أن تبلغ روحه في برجها بجنة عدن]. ويشيع كذلك قيام ذوي المتوفى بشراء كل أنواع الفاكهة التي تدخل السوق حال بدء موسمها وتوزيعها على من يلاقون في طريقهم ليلتوا عليها التبريكات. وفي روش حودش آدار، وخلال البيوريم يرسلون الزلوييه [فطائر مقلية] الى الكُنيس لتوزيعها على الناس (أنظر ص ٤١٦).

وفي مساء كل سبت والمساء الذي يليه طوال عام الحداد تتلى صلوات منحا ومعاريف في دار المتوفى.

بعد مرور ثلاثين يوماً على وفاة الوالد يقوم الأبناء بخلق رؤوسهم وإرتداء ثياب جديدة ويذهبون الى الملقفه. ويخاطب الناس هؤلاء الأبناء بقولهم: لي خيبيتون أنا خيبيه [عسى أن] لاتغتسلوا مثل هذا الغسل أبداً (في العمادية وزاخو)، [أو

إشاللا أنا خيبيه لي خيبيتولو إلا بأفرحبي إن شاء الله لن نستحموا هذا الإستحمام مرة أخرى، بل ستستحمون في فرح (في العمادية)... وعموماً يجبر الحاخام أبناء المتوفى على حلاقة رؤوسهم لأنهم يتمنعون بالقول بأن لا عزاء لهم.

بعد مرور شهر على الوفاة ثم بعد عام أيضاً، يقيم ذوو المتوفى وليمة تسمى سيعودت رَش يرخه [وليمة الهلال الجديد] وسيعودت رَش شاته [وليمة السنة الجديدة] على التوالي ويدعون اليها الحاخامات وعدداً كبيراً من أفراد المجتمع اليهودي، وتقرأ خلال الوليمة الزواهر والكتب المقدسة الأخرى. هذا ويقام المسنون، وخصوصاً الذين لا أولاد لهم ولا يأملون أن يكون لهم أولاد، هاتين الوليمتين أثناء حياتهم لإدراكهم بانها لن تقام لهم بعد موتهم.

المقبرة وزيارة القبور

بما أن مرافقة النسوة لجنائز الميت يوم دفنه محظورة، فإنهن يقمن بزيارة قبره في اليوم التالي ويقمن برش القبر بماء الورد. وفي العمادية تقوم نساء عائلة المتوفى بزيارة القبر ثلاثة أيام متتالية، أما في زاخو فتكرر هذه الزيارات (زارتياسه) مدة أسبوع إلا في يوم السبت. وعادة ترافق نساء المتوفى نسوة من الجوار، وتضع نساء المتوفى ثيابه على القبر ويكينه، وكذلك تحضر مرافقاتهن ثياب موناهن وبكين عليها. ولدى عودتهن من المقبرة تغسل النسوة أيديهن عند النهر، أما من يلتقيهن من الناس في طريق العودة فيبتعد عنهن ويختبئ لأنه لا يريد أن يرى نساء الميت. وفي العمادية تُزار القبور خلال عيد الفصح والسوكوت. وفي زاخو في التاسع من آب، وعند بداية كل شهر خلال عام الحداد الأول، وكذلك في عشية روش حوديش نيسان وفي التاسع من آب.

تقع مقابر اليهود^(٢٦) في كُردستان خارج أسوار المدن، وتقع مقبرة العمادية على سفح الجبل الذي تقع عليه المدينة وأما القبور الأحدث فتقع في الوادي، ويدفن يهود العمادية الحاخامات فوقها في موقع أعلى يقال له تبييت أدونيم [تل الأسياد]. ولا يقيم الناس أسبحة للمقابر ولا يضعون للقبور شواهد^(٢٧). إذ يكتفي الناس

٢٦- في العمادية: بيته حايم؛ وللنساء: طيبه "كتف الجبل" [تبه: كلمه فارسية تعني "تل"]; وفي سنه وأشنويه: بيت هاكامي؛ وفي زاخو ودهوك: قوربه؛ وفي سنه وبيجار: زياربي؛ وفي زاخو وريكان: زيارتيئا؛ وبالكرديّة: زيارتان.

٢٧- يقال أن في العمادية قبوراً قديمة جداً يعود تاريخها لسبعمئة سنة، وأن على شواهد بعضها كتابات (عبرية) مثل [هذا قبر فلان ابن فلان، الذي غادرنا في سنة كذا، في شهر كذا، في =



يهودي من العمادية



سيدة يهودية من دهوك



يهودي من دياربكر



سيدة يهودية من زاخو

بتحديد مواقع المقابر ببناء جدار منخفض بدائي من الأحجار حولها، ولذلك تعطي هذه المقابر إنطباعاً بالوحشة الشديدة. ورغم ذلك توجد في مقبرة العمادية بضعة أشجار جوز تعود ملكيتها للحقريه. وهنا نقتبس من والتر شوارتز الوصف التالي لمقبرة قرية سندور:

"مقبرة القرية مليئة بالقبور ومساحتها تتعدى مساحة القرية الحالية. وهي تماماً كالمقابر الكردية تفتقر للعناية بها ما يُعد في الحقيقة سمة مميزة للمقابر الكردية والعربية، التي تنعدم فيها الأشجار وتحدد القبور بأحجار صغيرة مستطيلة تبدو من على بعد مسافة وكأنها مزرعة سخور. وتشاهد فيها أحياناً أحجار قديمة جداً بإمكان المرء أن يفك الغاز بعض الحروف للكلمات العبرية المنقوشة عليها، وأما شواهد القبور الجديدة فلا كتابات عليها. وتقع المقبرة على موقع مرتفع عن القرية"^(٢٨).

= يوم كذا الى الدار الأبدية، وترك الحياة لأبنائه، عسى أن تُربط روحه بحزمة الحياة". وفي سنة ايضاً هناك قبور عليها كتابات منقوشة. وكان الكرد قد منعوا قديماً نقش الكتابات على شواهد القبور اليهودية.

٢٨- والتر شوارتز "حول اليهود الكرد" JR، عدد ١٢ تموز ١٩٣٥، ص ٣ [ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي].